

في سبيل الأزهر

للأستاذ عبد العزيز محمد عيسى

أعتقد أني لا أتجاوز الحقيقة حين أقول إن كلمات الأستاذ الزيات تنزل برداً وسلاماً على قلوب المخلصين للأزهر ؛ وإنهم يرون فيها بريقاً من النور يضيء لهم سبيل الإصلاح فيها يبتغون للأزهر من إصلاح

والرسالة في الأمة المصرية وفي الشرق الإسلامي جميعاً مكانتها السامية المتأخرة التي تجعل لكل ما تعالج من موضوعات أهمية خاصة، لا يستطيع أحد معها ألا يطمعها ما هي حقيقة به من التقدير والمنايا لذلك كانت دعوتها لإصلاح الأزهر جذيرة بالاً نمر كغيرها من دعوات الإصلاح، وكانت جذيرة بأن يتجاوب صداها في أجواء الأزهر مدوياً عالياً، فيردده رجاله عارفين صوراً من أدوائه راجين أن تعالج علاجاً ناجماً ، حتى تنعمر عنه ولا تنتقل عدواها إلى أبنائه الناشئين

الأزهر من غير شك محتاج إلى الإصلاح في كثير من نواحيه، والأزهريون الآن متطلعون إلى من يداوى ما يحسون به من علل ليست من صنيعهم ولا يد لهم فيها ، وإنما انحدرت إليهم مع الزمن ميراثاً ثقيلاً ؛ وما دامت النفوس مستعدة وللنيات خالصة فسيأتي اليوم الذي يفض فيه الأزهر عن نفسه كل ما يشوه جماله أو يسيء رسالته

وإن من البشائر التي تعلمن على نجاح هذا السعي ونفاذ هذه الدعوة إلى القلوب ، اشتراك الأزهرين أنفسهم في معالجة هذه السيوب ومحاولة للتخلص منها ؛ ولن يقدر أحد على إصلاح الأزهر كما يقدر عليه أبناء الأزهر ؛ فقد حاولت ذلك حكومات فيها مضي فلم يأت لها ما تأتي لابنه البار « محمد عبده » ولم يقدر أحد على ما قدر عليه في هذا الشأن مع ما وضع في سبيله من عراقيل وما أرفج به عليه من ترهات وأكاذيب ؛ لأن دعوة الحق لا بد أن تجدد سميماً ولا بد أن تغفل في النفوس وأن ينصرها - من حيث لا يشمر - أولئك الذين يعملون جاهدين على كيدها والصد عنها ، ودعوات الإصلاح يخدمها خصومها كما يخدمها أنصارها

وها قد أصبح الأزهر يؤمن بمبادئ الأستاذ الإمام ويتبع

مناهجه ، ويدل بذلك حتى صار من غر الرجل في الأزهر الآن أن ينتسب إلى الأستاذ الإمام تليذاً أو مسترشداً أو صديقاً ، بعد أن كان في حياته هدفاً لسهام الطاعنين ونبال الحاقدين

وفي يد الأزهر الآن فرصة ثمينة لا يسوغ له أن يضيعها أو يهمل استغلالها، هي قيام الإمام الثاني الأستاذ المراغي على رياسته وتوجيهه ، ومن ورائه في ذلك طائفة من المخلصين للأزهر المقتنعين بفكرة الإصلاح قرأت خطبه وأحاديثه ودرستها دراسة فاحصة محمئة فأنخذت لنفسها وجهة الخير منها ، وحرصت أن تهتدي إلى طريق النجاح بها . ولست أحب أن أسمي هؤلاء كما سماهم الأستاذ الزيات « شباب المراغي » فإن روح المراغي لم تكن قاصرة على التأثير في الشباب فحسب ، وإنما لأشد قوة وأبعد أثراً من ذلك ؛ فقد أثرت فعلاً في شيوخ قد جاوزوا عهد الشباب وخلفوه ، فأجدر بنا أن نسمي هؤلاء وهؤلاء « مدرسة المراغي »

ولسنا نلقى هذا الكلام على عواهنه ، فإن الأستاذ المراغي حينما خطا خطوته الجريئة في إصلاح بعض القوانين المتصلة بالأحوال الشخصية وقف في طريقه إذ ذاك كثير من العلماء، وعلى رأسهم عالمان قاضلان ألفا رسالة ذكرا فيها أنه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة التي أجمعت عليها الأمة ؛ فهل تدري أيها القاري أنهما الآن يعملان عضوين بارزين في لجنة الأحوال الشخصية التي لا تقف فيما تختار عند المذاهب الأربعة ؛ أليس هذا أثراً لروح المراغي واستجابة لرجة الإصلاح التي يستوى عندها الشيب والشباب ؟

هذه المدرسة الصالحة يملق عليها الأزهر الحديث آمالاً جساماً وتنتظر منها الأمة نهضة قوية تسير نهضتها في كل نواحي التقدم ؛ تنتظر منها أن تخرج للناس كتباً واضحة الأسلوب جيدة المعنى خالية من التعميد والنموض ، وأن تفهم الجو المحيط بها فهماً صحيحاً فلا تكن في البعش في ظلال كتب تمثل عصوراً خلت ، ربما كانت هذه الكتب صالحة لها موفية بحاجتها ، وهي الآن عاجزة عن حل المشاكل التي تترس للناس في معاملاتهم ونظم حياتهم ؛ تنتظر منها اشتراكاً فعلياً في توجيه الثقافة للقومية في البلاد، في الأحاديث التي تذاع، والمفالات التي تنشر، والمحاضرات التي تلقى ، وفي تلميم الشعب وإرشاده بأسلوب لا يجافي روح العصر الذي نعيش فيه ؛ فقد مضى عهد الجود والوقوف عند النصوص من غير مراعاة لروحها وظروف أحوالها والعوامل التي أثرت فيها، تنتظر منها كذلك أن تبين بالعمل لا بالقول أن الشريعة الإسلامية صالحة